مقدمة الطبعة الثانية

ثورات الربيع العربى وحقوق الإنسان المعاصر

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في وقت كان فيه العالم العربى يعانى قهرًا غير محدود سواء من قبل حكامه المستبدين أو من قبل الهيمنة الأمريكية المتحدة على الغطرسة الإسرائيلية وكلاهما كان ولا يزال يعربد ويعبث تخريبًا وافسادًا فى العالمين العربى والإسلامى. ولقد تغيرت الأحوال وصار الحال غير الحال؛ فبعد أن كان العرب ينشدون التغيير ويرغبون فى التحرر والحصول على حقوقهم عبر مساعدة الآخرين، أصبحوا الآن قادرين على أن ينتزعوا حقوقهم انتزاعًا من براثن حكامهم المستبدين؛ فقيام الثورات العربية فى تونس ومصر وليبيا وتأججها بعد ذلك فى اليمن وسوريا هو فاتحة عصر جديد تسطره الشعوب العربية فى مجال انتزاعها لحقوقها المشروعة ورغبتها فى أن تحيا حياة كريمة تسودها العدالة والحرية والمساواة ويتمتع فيها المواطنون بحرية اختيار دساتيرهم وحكامهم ومن ثم يشاركون فى صنع الواقع الجديد لأنفسهم. إن العرب لم يعودوا ينتظرون من أحد أن يأخذ لهم حقوقهم من حكامهم مستبدلين ذلك بهيمنة من ساعدوهم على أقدارهم والتحكم فى حاضرهم ومستقبلهم. ولاشك أن الدرس القاسى الذى أخذه العرب من ما حدث فى العراق على يد الاحتلال الأمريكى كان كافيًا لأن ينتفضوا هم دون طلب المساعدة من أحد ليحصلوا على حقوقهم المشروعة.

ولا شك أن الثورتين التونسية والمصرية كانتا ملهمتان للثورة الليبية ولبقية الثورات العربية. فها هو الشعب الليبى قد اقتنص حقوقه من القذافى ونظامه بعد أكثر من أربعين عامًا قضاها فى ظل استبداده وتحكمه فى كل شىء وقضائه على أى إبداع فى أى مجال من مجالات الحياة والعلم بل والفن أيضًا. فقد كانت ليبيا هى شعب "القذافى" والقذافى وحده هو المبدع وهو المتحكم وهو الملهم وهو الزعيم .. لقد أدرك الشعب الليبى درس العراق فلم يطلب المساعدة إلا بقدر ما يخلصه من التفوق العسكرى الجوى للقذافى على شعبه. لقد خاضوا حربًا ضروسًا فقدوا خلالها أكثر من عشرين ألفًا من الشهداء لقاء هذه الحرية التى بدأوا يتمتعون بها والرهان هو كيف يحافظون على استقلالية القرار ووقف التدخل الأجنبى فورًا وعند هذا

الحد!! ولاشك أن نجاح الثورتين اليمنية والسورية آت آت. فالشعوب إذا ما طلبت حريتها وأصرت على تحرير إرادتها من الحكام المستبدين لابد أن يستجيب القدر ولابد لدولة الظلم والاستبداد من نهاية. وعبر الثورة واستمرارها حتى تحقيق المطالب وانتزاع الحقوق تكون النهاية نهاية عصور الاستبداد والقهر.

وكم هو جميل هذا الاصطلاح الجديد "الربيع العربى"، نعم إنه الربيع العربى الذى كنا ننشده ونتمناه لشعوبنا، إن التحرر من الاستعمار فى القرن الماضى كان المقدمة الضرورية للتحرر من الحكام المستبدين الذين حكموا باسم الثورة على الاستعمار وانقلبوا بعد ذلك إلى طغاه مستبدين. وكم كانوا خطرًا على شعوبهم، فالاستعمار الغازى عدو واضح لكل الشعوب يتحد الجميع لمقاومته ويستهدفون التخلص منه، بينما الحاكم المستبد يجد له من الأنصار والمستفيدين من وجوده ستارًا يحميه من شعبه ولا يعدم الحجج التى تجعله يستمر لأطول فترة ممكنه فى التحكم فى شعبه، إذ لم توجد فترة فى تاريخ أى شعب عربى فى نظر حكامه المستبدين إلا وهى فترة حرجة وعصيبه تتطلب من الجميع أن يخضع له ويأتمر بأمره حتى يتم تجاوزها والتغلب على تحدياتها !! والحقيقة أنهم هم من كانوا يجعلونها فترة حرجة وضرورية للأمن القومى لبلادهم بينما الواقع يقول إن الأمن القومى الحقيقى لأى شعب يكمن فى حريته وتمتع أفراده بكامل حقوقهم. إنهم حينئذ سيكونون هم حماة الأمن القومى والحريصون عليه والمدافعون عنه. إن الأمن القومى لأى دولة هو فى حرية شعبها وتمتعه بكامل حقوقه، هو فى العلاقة السوية بين الحكام والمحكومين، هو فى احترام الجميع للدستور وقوانين البلاد. وليس فى خرقها لصالح فئة معينة أو لصالح الحاكم وحاشيته والمقربين منه.

لقد ضجت الشعوب العربية فى تونس ومصر وثارت على حكامها وهاهى ترسم معا الطريق الجديد نحو التمتع بحياة ديمقراطية سليمة يشارك فيها الجميع على قدم المساواة ووفق دستور يحترم الحريات ويحمى الحقوق وهاهى ليبيا على نفس الطريق، وكذلك سيكون شأن شعبنا العربى الآبى فى اليمن وفى سوريا فى القريب العاجل إن شاء الله. لقد علمنا التاريخ إن الحقوق والحريات لا توهب من الحكام أو من غيرهم، بل تنتزع انتزاعًا. وما أن ينتزع الإنسان حقوقه المشروعة ويتمتع بها بحق فى ظل دستور واضح وقوانين يحترمها الجميع حتى تبدأ المرحلة الأهم فى حياة الشعوب وهى

مرحلة البناء والعودة إلى المشاركة الفاعلة فى صنع الحياة الأفضل لهم ولغيرهم. فالشعب الحر هو الشعب الذى يربى المبدعين والعباقرة فى كل مجالات الحياة علومًا متقدمة وآدابًا راقية وفنونًا مرهفة ترقى الذوق وتشفى الوجدان.

إن نسمات الربيع العربى التى تهب علينا الآن هى بلاشك نتائج وعى ظل يتراكم طوال العقود الماضية بحقوق الإنسان الاساسية وبضرورة أن يتمتع بها الإنسان العربى مثله مثل غيره من شعوب العالم. وإذا كنا من قبل نصرخ مطالبين بحقوقنا المشروعة فإننا من الآن فصاعد سنتفرغ للبناء، بناء دورة حضارية جديدة للعرب يشاركون فيها فى الإبداع الحضارى للإنسانية فقد كنا كذلك من قبل فى ظل الحضارة الإسلامية وها نحن سنعاود الكرة بإذن الله واثقين من المستقبل بقدر ثقتنا فى أنفسنا وفى قدرتنا على الإبداع فى كل مجالات الحياة طالما تهيأت الظروف وأزيحت المتاريس والحواجز التى كانت تكبل حركتنا وتصر على تجميدنا ووأد كل قدرتنا.

لقد نجحنا جزئيًا فى تغيير الواقع العربى نحو الأفضل فى مجال حقوق الإنسان بفضل هذه الثورات العربية التى ستشع بلاشك لتشمل كل أرجاء ودول عالمنا العربى إما برغبة حكامنا أو رغم أنوفهم لكن لا ينبغى أن ننسى أن نيل الحقوق يقابله واجبات ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب داخل وطننا العربى الكبير، بل أيضًا على المستوى الدولى والعالمى. إننا لا نزال نعانى من العنصرية الغربية والتحيز الغربى والتمييز الغربى ونعانى من النظرة الاستعلائية التى لا يزال الغربيون ينظرون بها إلينا. وهذه النظرة الاستعلائية الغربية لا تزال غير مسلمة بأن لنا حقوقًا على الدول الغربية. ولعل أبسطها وهو جوهرها وأعمقها أثرًا ألا وهو تغييرنظرتهم إلينا ليكون التعامل على أساس من "التكافؤ الحضارى" الذى يساوى بين جميع البشر فى القدره على صنع الحياة الأفضل للإنسانية جمعاء. وإذا لم يسلموا بمبدأ التكافؤ الحضارى ويتم التحاور بيننا على أساسه فلنعلم أننا لا نزال فى مرحلة الجهاد لنيل الحقوق المشروعة، فلا تزال فلسطين محتلة، ولا يزال القدس وحرمها المقدس تئن تحت وطأة أقدام المستعمرين الذين لا يعترفون بأى حق للآخرين فى الحياة وفى حرية العبادة وتحرير الأرض. ولنعلم أننا لن نكون مشاركين حقًا لهؤلاء الغربيين فى حياة إنسانية واحده طالما لا يزالون يناصرون هذا الكيان

العنصرى المحتل الغاصب المسمى دولة إسرائيل التى لا تريد حتى أن تسلم بحق عودة الفلسطينيين إلى حدود 1967م.

إن الربيع العربى لن يكتمل إلا بتحرير كامل الأرض العربية، ولا ينبغى أن تتوقف مطالبة الشعوب العربية عند حدود التمتع بالحريات والحقوق فى أقطارنا العربية المختلفة، بل ينبغى أن يظل قطار الثورة سائرًا فى طريقه حتى تتحقق الحريات لجميع الشعوب العربية بما فيها الشعب الفلسطينى وأن يتم تحرير القدس من يد الاحتلال الإسرائيلى الغاشم والمتعجرف.

وإلى أن يحدث ذلك ستظل صرختنا داخل هذا الكتاب وعلى غلافه بأن لا تزال هناك هوة عميقة فى قضية حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظرى العملى الذى يملأ الوثائق الدولية والمؤتمرات العالمية والإقليمية وبين الواقع العملى الذى يمارس فى ظله الغربيون كل ألوان التمييز والتحيز والعنصرية ضد شعبنا الفلسطينى وضد بعض الدول الإسلامية. إننا لا نزال رغم الربيع العربى وثوراته نعانى من وجود تلك الهوة السحيقة فى قضية حقوق الإنسان بين الخطاب النظرى والواقع العملى، وعلينا أن نحرص بالحوار مع أحرار العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه على ضرورة ردم هذه الهوة حتى يتوافق الخطاب النظرى مع الواقع العملى فنكون غربيين وشرقيين مؤمنين نظريًا ومطبقين عمليًا كل معتقداتنا حول حقوق الإنسان.

وعلى الله قصد السبيل وهو المستعان والموفق

مصطفى النشار

مدينة نصر في : 28 أكتوبر 2011 م

openkanal.com

تصديـر

يكثر الحديث هذه الأيام وفي جميع المحافل الدولية والدوائر المحلية والإقليمية حول "حقوق الإنسان" لدرجة يتصور المرء معها أنه لم يكن هناك من قبل مراعاة لحقوق الإنسان على وجه الإطلاق! بينما يجد المتأمل بحق أن هذا الحديث الذي كثر لدرجة الملل إنما هو دلالة على أن عصرنا يشهد أكثر من أي عصر مضى انتهاك حقوق الإنسان!

إن كثرة الحديث عن حقوق الإنسان إنما يعني ضمن ما يعني أن الإنسان المعاصر يفتقد الشعور والوعي بهذه الحقوق. ومن ثم يذكر نفسه بها ولا يكتفي بالتذكير والتذكر وإنما أخذ يسجل هذه "الحقوق" في عهود ومواثيق عديدة وقعت عليها كل دول العالم.

وكم تحدث عنها المتحدثون وحللها المحللون وأوضحوا كم تعب الإنسان وخاصة الفلاسفة والمصلحون من البشر في بلورة هذه الحقوق حتى وصلت إلى هذه الصياغات الدقيقة التي اتفق عليها الجميع.

والحقيقة التي ربما تكون قد غابت عن كل هؤلاء، أن هذه الحقوق التي فضلوها وضعية وصاغوها قانونياً، إنما هي حقوق فطر الله الناس عليها، وأن البشر منذ حضاراتهم الأولى في الشرق القديم قد أدركوا هذه الحقوق وحافظوا عليها وعبروا عنها في رواياتهم وكتاباتهم، في معاهداتهم ووثائقهم الدبلوماسية.

وكان الوعي بهذه الحقوق وعياً اتسم بالنزعة العملية التطبيقية، حيث لم يسجل إلا عبر وثائق تكشف عن مراعاة هذه الحقوق في حياة الأفراد والشعوب بشكل عملي؛ كشفت عن ذلك تشريعات حور محب في مصر القديمة، وتشريعات حمورابي في وادي الرافدين. كما كشفت عن ذلك بعض المعاهدات التي عقدت بين الدول والشعوب القديمة ولعل أوضح وأقدم مثال على هذه المعاهدات، تلك المعاهدة التي أبرمت بين رمسيس الثاني ملك مصر مع خاتوسيل الثالث ملك الحيثيين عام 1278 قبل الميلاد.

إن القارئ لتلك التشريعات ولنصوص هذه المعاهدات يكتشف أن الإنسان القديم قد أدرك جيداً حقوقه وعرف جيداً واجباته إزاء غيره من البشر.

وبالطبع فقد تدعم هذا الوعي في العصور التالية وخاصة بعد ظهور الديانات السماوية وخاصة الدين الإسلامي الذي قدم أدق صور الاعتراف بحقوق الإنسان الأساسية وطالب أتباعه والمؤمنين به بالحفاظ عليها حتى يلقوا الثواب في الآخرة والنعيم المقيم في الحياة الدنيا.

ولا شك أن فلاسفة الغرب المحدثين من أمثال جان جاك روسو وفولتير ومونتسكيو قد لعبوا دوراً كبيراً في إيقاظ وعي الأوربيين على الحقوق الأساسية للإنسان وعلى رأسها حق المساواة والحرية والإخاء والعدالة ... إلخ. وقد تطور هذا الوعي حتى صيغت تلك العهود والمواثيق الدولية التي أشرنا إليها في مطلع هذا الحديث.

وقد بدأ عصراً جديداً من عصور الإنسانية الواعية بحقوقها في ظل مؤسسات دولية أنشأها البشر، لتكون هي الساهرة على تنفيذ هذه العهود والمواثيق وأهمها بالطبع منظمة الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها. فقد وقعت هذه العهود والمواثيق الدولية من خلال هذه المنظمات الدولية وفي ظل رعايتها. ومن ثم وجب على الجميع احترام تلك العهود وهذه المواثيق، حيث إنها لاقت استحسان الجميع وشارك الجميع في الوعي بها وفي صياغة بنودها بنداً بنداً.

ولكن الممارسة الفعلية وخاصة في عصرنا هذا قد كشفت أن الخطاب النظري الذي كرسته هذه العهود وتلك المواثيق وما صاحبها من شروح وتفسيرات في واد، والأفعال التي يمارسها البشر في حق بعضهم البعض في واد آخر!!

لقد أصبحنا في عصر القطب الواحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم. وكم تغنى قادة هذه البلاد الغنية بما تعيشه من حريات ومن حفاظ على حقوق الإنسان! وكم كان حلماً جميلاً لكل إنسان على ظهر هذا العالم وخاصة في بلاده النامية أو المتخلفة أن يذهب إلى الولايات المتحدة رمز الثراء والحرية واحترام الحقوق! لكن كل ذلك انهار فجأة بفعل التجبر الذي أظهرته الولايات المتحدة مؤخراً تجاه الآخرين تحت حجج مختلقة ومختلفة؛ فمرة يهاجمون الصين بحجة عدم حرصها على حريات مواطنيها!

ومرة يهاجمون الدول الاشتراكية السابقة بنفس الحجة كما يهاجمون معظم دول العالم الأخرى بنفس الطريقة وتحت نفس الدعاوى!

والحقيقة أن هذا القناع قد انكشف بعدما فضحت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها في ظل غزوها العسكري لأفغانستان، ثم العراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة!

فتلك الأحداث التي دمر فيها رموز السيادة والهيمنة الأمريكية على العالم مركز التجارة العالمي، البنتاجون، كان يمكن أن تمر كأي أحداث دولية أخرى يعاقب مرتكبها حين يفتضح أمره ويُقبض عليه، لكن الولايات المتحدة الأمريكية استغلت قوتها العسكرية الغاشمة وهاجمت ما صورته للعالم على أنه السبب وهو "الإرهاب"! ذلك الإرهاب الذي صوروه في شخص بن لادن في أفغانستان وصدام حسين في العراق وكالوا لهما التهم بامتلاك أسلحة الدمار الشامل وقتل المدنيين الأبرياء .. إلخ.

وبدلاً من أن يبذلوا بأنظمتهم المخابراتية الجهد في الإمساك بهؤلاء ظلمًا وعدواناً بحجة أنهما مع حاشيتهما المسئولين عن هذه الأحداث الإرهابية !! خططوا لاحتلال أفغانستان والعراق. فكان أن شهد عصرنا أشد صور الاستعمار والغزو فظاعة وتجبراً.

لقد انتهك الأمريكيون كل حقوق الإنسان التي عبرت عنها تلك المواثيق الدولية المتعارف عليها ومسحت بها بلاط المنظمة الدولية التي أنتجتها الأمم المتحدة!! وشهد العالم على شاشات التليفزيون وعبر كل أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة كم الأسلحة المدمرة التي استخدمتها الولايات المتحدة في تدمير الأرض والزرع وفي قتل الأبرياء في البلدين الإسلاميين!

وكم انتهكت الولايات المتحدة بجنودها المأجورين والمتحالفين معهم من حقوق للبشر الذين تعاملوا معهم سواء كانوا جنوداً محاربين مدافعين عن أرضهم وحقوقهم أو كانوا بشرًا عاديين أبرياء!

ومن هنا جاءت إشكالية التناقض بين الخطاب والدعاوى النظرية التي روجت لها أجهزة الدعاية الصهيونية - الأمريكية بأن جنود الولايات المتحدة إنما

obeikandl.com

ذهبوا لتحرير هذه الشعوب من الاستبداد والعبودية التي فرضها عليهم حكامهم! وبين ما حدث ويحدث على أرض الواقع من استهزاء بكل قيم وحقوق الإنسان. إن الواقع الحى الذي أحدثته هذه الجيوش الجرارة التي احتلت البلدين العريقين أفغانستان والعراق قد شكل خرقا لكل القوانين والاتفاقيات الدولية التي شاركت الولايات المتحدة في صياغتها وإقرارها!

لقد أصبحت القوة العظمى المنوط بها حماية حقوق الإنسان والحرص على تنفيذها وتطبيقها هي التي تدوسها بالأقدام وتهدد بالمزيد من ذلك لكل من تسول له نفسه مخالفتها الرأى!!

إذن ماذا تفعل شعوب العالم الأخرى غير الصياح في وجه المحتل الغاصب، وماذا تملك الشعوب المقهورة والمحتلة غير أن تكافح لنيل حريتها المسلوبة ولاسترداد ثرواتها المنهوبة!

وماذا نملك نحن أصحاب الرسالة والقلم أكثر من أن نكشف زيف الادعاء ونميط اللثام عن ذلك التناقض بين واقع الحال وما يتشدق بها المحتلون من كلام معسول لا يشعر بعسله إلا من يردده بينما الآخرون يتجرعون به المُر والهوان وخاصة من احتلت أراضيهم واغتصبت نساؤهم ونهبت ثرواتهم .

ماذا نملك نحن غير التحذير بأن الدائرة لابد أن تدور على الباغي والمحتل! ماذا نملك نحن غير حث المقهور على الصمود حتى يعود المعتدي إلى صوابه! ماذا نملك نحن سوى استنهاض الهمم وإيقاظ الوعي وكشف الزيف لعل المعتدي يرتدع، ولعل النائمين عن الحق يستيقظون!

إن ما ستقرأه عزيزي القارئ في هذا الكتاب إنما هو مجرد محاولة لكشف التناقض بين ما تؤمن به من حقوق لك ولغيرك من البشر، وبين ما يفعله بعضنا إزاء البعض من انتهاك للحقوق واغتصاب للإرادات!

إنها محاولة لكشف ذلك التناقض بين ما يردده الغربيون عامة والأمريكيون خاصة حول حقوق الإنسان وبين ما يفعلونه على أرض الواقع من إهدار لكل هذه الحقوق!

obeikandi.com

فقد حاولنا في هذا الكتاب الذي بين يديك أن لا نكتفي بالدراسة النظرية المتأملة لقضية حقوق الإنسان وما يعتورها في عصرنا من تناقض بين الخطاب النظري والواقع العملي. وإنما قدمنا للقارئ العزيز حتى تكتمل الصورة وتصل الرسالة التي نود إيصالها له كاملة نماذج من الوثائق الخاصة بالخطاب النظري الذي أقرته الاتفاقيات والعهود والمواثيق الدولية حول حقوق الإنسان، وكذلك نماذج من الوثائق التي تكشف عن هذا الهدر المتعمد لكل حقوق الإنسان في ظل الاحتلال الغاشم للعراق. وبالطبع فإن ما يجرى في العراق يجرى مثله وأكثر في فلسطين على يد الإسرائيليين ويجرى مثله كذلك على أرض أفغانستان.

ولعل هذه الوثائق التي سيجدها القارئ في ملاحق هذا الكتاب تكون خير شاهد على كل ما قلناه في الدراسة التي صدرناه بها.

ولعل هذه الدراسة وتلك الملاحق بما فيها من وثائق تكون شاهدة على عصرنا المخزي! ولعلها تساهم في بلورة موقف عربي وإسلامي بل وعالمي موحد تجاه البربرية التي يمثلها الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان، والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين! فيطالب الجميع بإنهائه ويتضامنون - إذا لم يرتدع المحتلون والمغتصبون - في مواجهته إن لم يكن بالقرارات والحوارات فبالقوة وبالحروب إذا لزم الأمر! فليس بعد ما نراه من امتهان لكرامة الإنسان في هذه البلدان المحتلة مهانة للإنسانية التي كرمها الله! ولا شك أن الإنسان الذي يعيش في هذا العصر ويشاهد صور الذل والمهانة هذه ولا يتوقف أمامها رافضاً ومجاهداً في سبيل دحضها ودحرها لا يستحق أن يكون إنساناً!

مصطفى النشار

مدينة نصر في : 27 مايو 2004 م

الموافق : 8 ربيع الآخر 1425هـ

obeikandl.com